الدراسات العربية في هولندا

البروفيسور الدكتور يان بروخمان *

إن الدور الريادي الذي أخذ يلعبه الهولنديون في القرن السابع عشر في مجال الدراسات العربية ، قد جاء متأخراً مقارنة باهتمام كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا بالثقافة العربية . ولا شك في أن بطء إنجاز النظم السياسية في هذه البلاد المنخفضة قد لعب الدور الأساسي ، فلم تدخل الثقافة هولندا ذات السبخات إلّا بحذر وذلك لصعوبة السفر والتنقل فيها . ومع أن هولندا وحتى حوالي سنة (١٢٠٠) وكما يقول المؤرخ بسكن هويت لم تكن تملك « لا لغة ولا أسطولاً ، لا سلالة حاكمة ولا إكليروسا ، لا نبلاء ولا نواة للطبقة الوسطى » . ولكن في القرن الثالث عشر ساهمت هولندا « مستقلة في حملة أوروبية يمكن القول بأنها أدخلتها العالم » .

أما هذه « الحملة الأوروبية » فلم تكن إلّا الحملة الصليبية إلى دمياط سنة (١٢١٩) والتي انتهت بهزيمة ساحقة وقد لعب الكونت الهولندي دوراً مهماً في هذه الحملة . وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الاتصال لا يمكن أن يثبت أي فهم عميق لا بالإسلام ولا بالثقافة العربية . فلا عجب أن شارك الهولنديون بقية أوروبا الأجحاف بالإسلام وبالعرب الذين سُمّوا آنذاك « بالسراسين » وقد استمر عدم الفهم هذا طوال القرون الوسطى .

---

* البروفيسور الدكتور يان بروخمان يشغل منصب كرسي اللغة والحضارة العربية في العصر الحديث في جامعة ليدن ، هولندا .

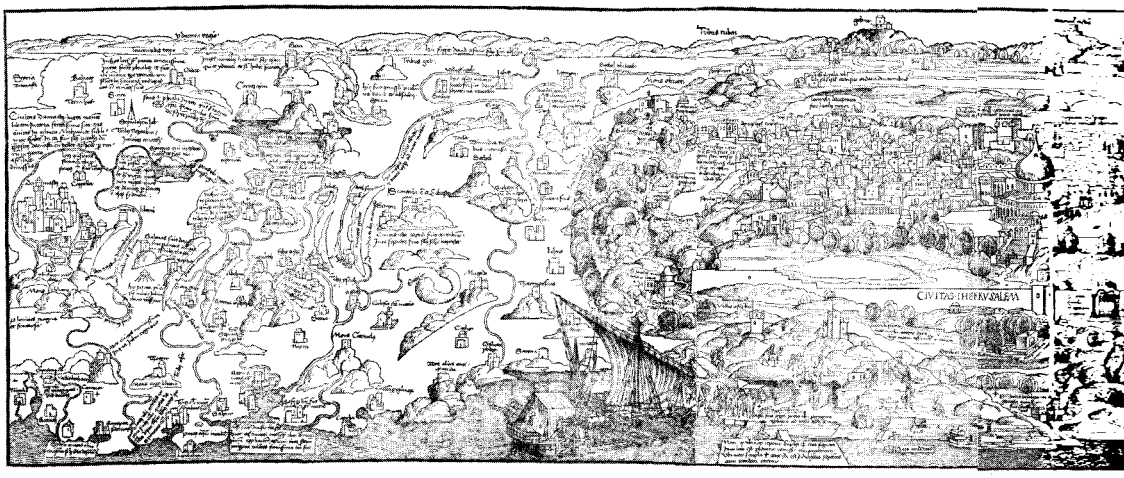

٣ — إدوارد ريفايك (من اوتريخت) ، العرب في فلسطين في ١٤٨٣ . حفر على الخشب (١٢ × ٨ سم) . من **الرحلة في البلاد المقدسة . تقرير عن رحلة سنة ١٤٨٣ لبرنهارد فون بريدنباخ** ، (ماينز ، ١٤٨٦) . أقدم وصف مطبوع لرحلة حج إلى فلسطين مزود بالصور الإيضاحية . متحف الملاحة البحرية في أمستردام .

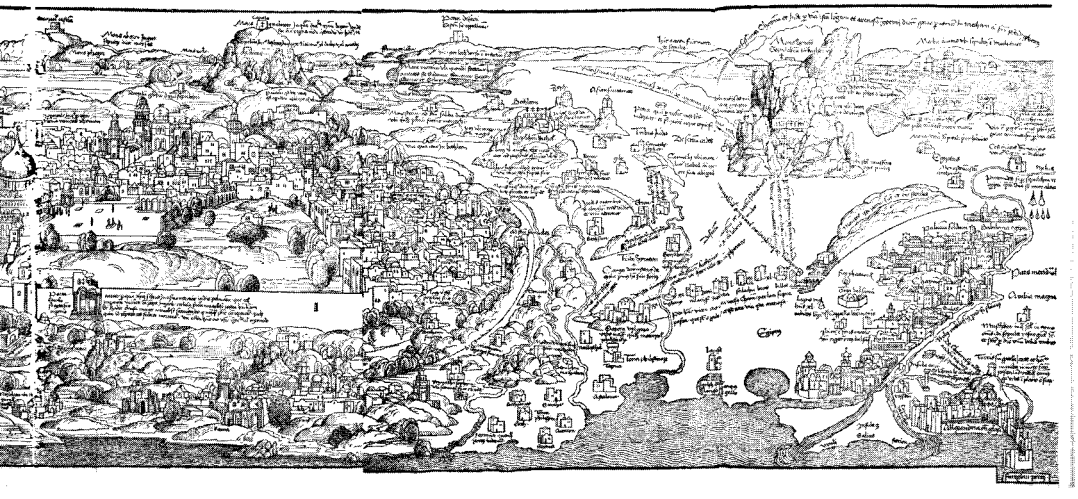

٤ — إدوارد ريفايك (من اوتريخت) ، خارطة عامة للمشرق العربي من سنة ١٤٨٣ وتشمل سوريا ، فلسطين ، لبنان ، مصر ومكة . حفر على الخشب (١٢٦ × ٢٧٫٥ سم) من **الرحلة في البلاد المقدسة** لبرنهارد فون بريدنباخ ، (ماينز ، ١٤٨٦) . متحف الملاحة البحرية في أمستردام .

ولقد طرأ تغير سريع خلال حرب الثمانين سنة (١٥٦٨ ــ ١٦٤٨) والتي كانت نتيجتها انتزاع القسم الشمالي من البلاد المنخفضة إستقلاله من إسبانيا وذلك بعد صراع مرير ومعارك ضارية . فلم تمر إلّا بضع سنين على بداية هذه الحرب ، حتى تأسست أول جامعة في شمال هولندا وذلك في ليدن سنة (١٥٧٥) ، لتعذر الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن الواقعة في القسم الجنوبي من هولندا والتي لم تزل محتلة بالجيش الإسباني . وللحقيقة فإن صعوبةَ الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن لم يكن الباعث الوحيد لوضع حجر الأساس للجامعة الجديدة ، وإنما كان الهدف من الجامعة الجديدة ومنذ البداية هو أن تكون مركز تدريب للقساوسة البروتستانت ، ذلك لأن الحرب لم تكن فقط للاستقلال وإنما للحرية الدينية وللإصلاح البروتستانتي الذي حاربه الحكام الكاثوليك بالنار والسيف وذلك بالمعنى الحرفي للكلمة .

لقد سيطر اللاهوتيون البروتستانت في ليدن مما مكّنهم منذ البداية من أن يلعبوا دوراً مهمّاً في التركيز على البحث المستقل في التوراة والإنجيل ، وبطبيعة الحال الاهتمام باللغات التي كان الكتاب المقدس مكتوباً بها . وبما أن العهد القديم قد كتب باللغة العبرية وبالارامية فلا عجب أن ازدهرت دراسة هاتين اللغتين منذ البداية في ليدن . وبشكل منطقي أُوتوماتيكي أدّت هذه الدراسة إلى دراسة اللغة العربية .

إن معجمية اللغة العربية العملاقة وسعة أدبها ونحوها الموصوف بالدقّة ، كلها مجتمعة قد وضعت حولها هالة من الأهمية وذلك من أجل فهم أفضل للغة العهد القديم . وسوف يبقى هذا الباعث لدراسة العربية عنصر جذب وذلك لقرون طويلة وسوف يظهر ذلك لاحقاً . فلا عجب والأمر كذلك ــ أن يكون أول أستاذ كرسي العربية في جامعة ليدن هو نفسه أستاذ كرسي العبرية . أما اسم هذا الأستاذ فهو فان رافلينخن (رافلينخيوس باللاتينية) . وهو صهر صاحب المطبعة الشهير بلانتين من انتفرب ، والذي بعد أن قمع الجيش الأسباني مقاومة مدينته واحتلها سنة (١٥٨٥) قام بتأسيس فرع لمطبعته في ليدن . وقد كانت اللغة العربية واحدة من اللغات التي طبع بلانتين بها الكتاب المقدس المتعدد اللغات . ولم ينشر رافلينخيوس فقط كُتيّباً يحوي نماذج الخطوط العربية وذلك سنة (١٥٩٥) ، بل أنه بعمله وكدّه ألّف قاموساً عربياً قام أبناؤه بنشره بعد وفاته (لوحة ٥) . ولم يُعمر رافلينخيوس طويلاً فمات سنة (١٥٩٧) . وكان المدرسون الذين جاءوا بعد وفاته لتدريس اللغة العربية ، أقل شأناً منه ، لكن أول أستاذ متخصص شغل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية كان فان اربين (باللغة اللاتينية أربينيوس) والذي عُين سنة (١٦١٣) . لقد درس أربينيوس اللاهوت في ليدن ومن الأرجح أنه لم يكن يعرف اللغة العربية عند تخرجه عام (١٦٠٨) . ولقد وعى الأساتذة في ليدن مدى أهمية اللغة العربية ، وخاصة العالم الفرنسي سكاليخر والذي تمّ تعيينه في الجامعة الفتية من أجل اضفاء بعض من البريق والأهمية عليها . ولقد تعلم سكاليخر ذو البراعات المتعددة اللغة العربية فاستعمل مصادر عربية من أجل عمله التاريخي الكبير « في إصلاح التقويم » .

ومن الأرجح أن يكون سكاليخر هو الذي فتح عيني أربينيوس على أهمية اللغة العربية وقام بتزويده ــ وكان طالباً حديث العهد بالتخرج ــ برسالة تزكية حملها معه أثناء سفره للدراسة عبر أوروبا سنة (١٦٠٨) كما كان متبعاً في ذلك العصر .

لقد بدأ أربينيوس بدراسة العربية خلال سفره هذا،فغادر أولاً إلى إنجلترا حيث تعرف على مباديء هذه اللغة عبر المدعو بدويل الذي كان قساً في توتنهام بالقرب من لندن،والذي لم يكن أستاذاً للغة العربية إذ لم يتم تأسيس مثل هذا المنصب إلا سنة (١٦٣٠) . وبعد اقامة قصيرة في إنجلترا غادرها متوجهاً إلى باريس وذلك

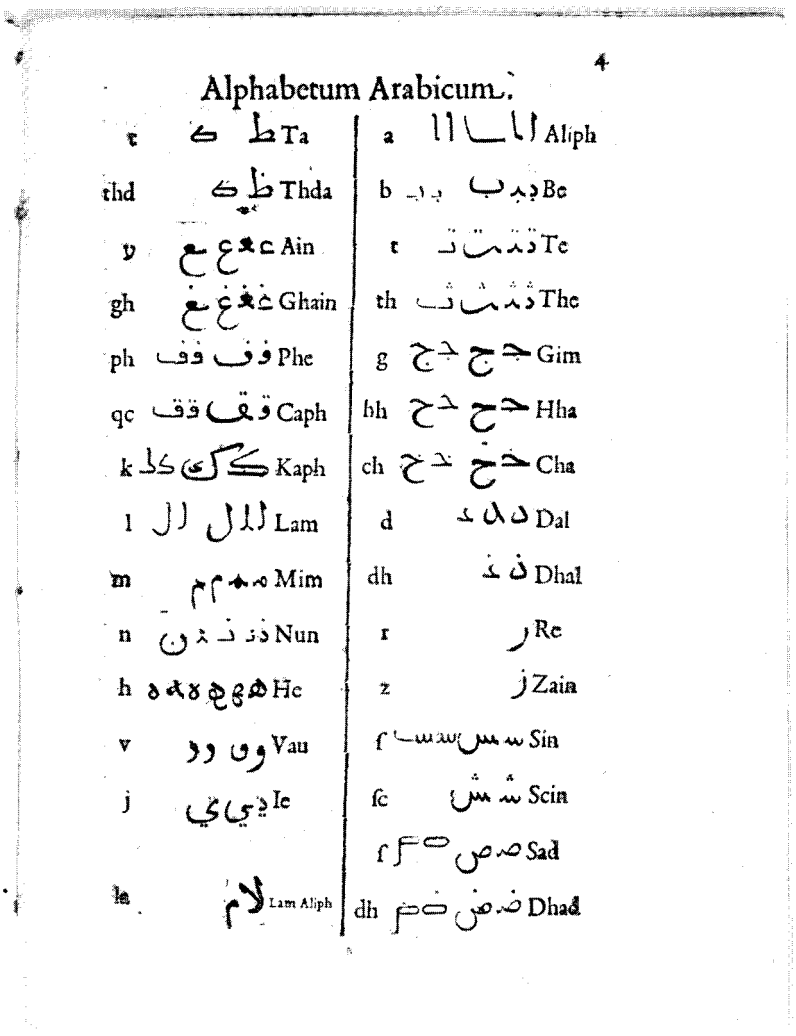

٥ — نماذج من الحروف العربية لرافيلينخن (ليدن ، ١٥٩٥) ، ولقد أضيفت إلى بعض هذه الحروف من الخط **النسخي** ، الحروف المقابلة بالخط **المغربي** . مكتبة ليدن الجامعية .

في بداية عام (١٦٠٩) والذي من المحتمل أن يكون قد بدأ دراسة اللغة العربية بشكل جدّي فيها.ومن الطبيعي أن تكون رسالة التوصية التي زوده بها سكاليخر،قد دفعت العالم الشهير كازوبونوس من أن يساعده ويسمح له بفحص مخطوطاته العربية الخاصة.ولاتظهر براعة أربينيوس في اللغة العربية فقط من رسالته التي وجهها إلى بدويل في سبتمبر (١٦٠٩) والتي كتبها باللغة العربية وذلك بعد سنة واحدة من مغادرته هولندا ، وإنما يبدو هذا جلياً من كتابه في النحو العربي والذي وضعه سنة (١٦١٣) أي بعد مضي أربع سنوات فقط على ابتدائه دراسة العربية . ويُعتبر هذا الإنجاز مفخرة في عصر لم تتوفر فيه قواميس جيدة وبالكاد كانت هناك كتب مطبوعة بالعربية . أما كتب النحو فلم تكن على قدر كبير من الدقة في شيء . وعلى حدّ علمنا فإنه لم يكن لأربينيوس إلا معلم مصري واحد يدعى أبو دقنوس وقد اكتشف أربينيوس بعد مضي وقت ، أن مُدرّسه هذا لا يجيد غير العامية وأنه لا يفقه من الفصحى شيئاً . ومع كل هذا فقد بقي كتاب أربينيوس في النحو من أهم وسائل دراسة اللغة العربية في أوروبا مدة طويلة (لوحة ٦) .

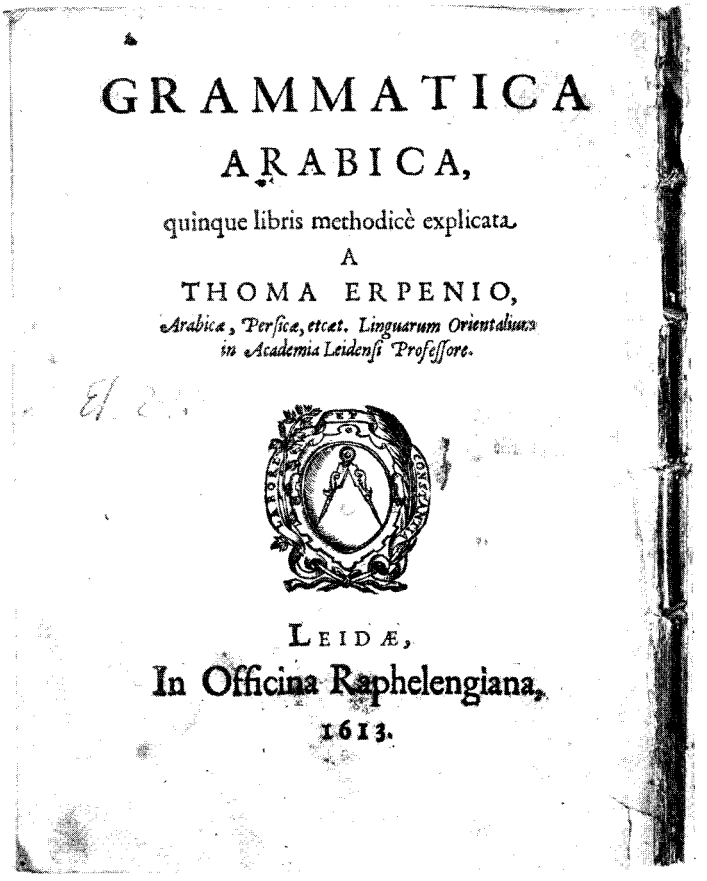
GRAMMATICA
ARABICA,
quinque libris methodicè explicata.
A
THOMA ERPENIO,
Arabicæ, Perſicæ, etcæt. Linguarum Orientalium
in Academia Leidenſi Profeſſore.
LEIDÆ,
In Officina Raphelengiana,
1613.

٦ ــ **النحو العربي** لثوماس فان أربين (الطبعة الأولى : ليدن ، ١٦١٣) وقد بقي طوال قرنين الكتاب الأكثر استعمالاً بين دارسي العربية في أوروبا . مكتبة ليدن الجامعية .

لم يشغل أربينيوس منصب أستاذ أول كرسي للعربية في الجامعة الهولندية إلا مدة أحد عشر عاماً تُوفي بعدها مبكراً متأثراً بمرض الطاعون وذلك سنة (١٦٢٤) . وبذلك انتهت حياته التي كانت تُبشر بالنجاح والعطاء . ويمكن القول أن حظ المستعربين الهولنديين كان كبيراً وذلك عندما خلفه شخص بالرغم من عدم كونه رائداً في الدراسات العربية من نفس درجة أُستاذه ، فإنه لم يقل عنه عبقرية وتعدد براعات . كان هذا الشخص هو خول (وباللاتينية خوليوس) والذي ذاعت شهرته بسبب قاموسه العربي ــ اللاتيني . هذا القاموس الذي لم يعتبر أساسياً في عصر خوليوس فقط ، وإنما استمر استعماله حتى في القرن التاسع عشر (اللوحتان ٩ ، ١٠) . وقد كلفت ادارة جامعة ليدن خوليوس جمع عدد من المخطوطات العربية من أجل مكتبتها . ولقد أسهم في البحث في الكتابات العربية في الرياضيات فقام بنشر بعضها ، كما وقام بترجمة بعضها الآخر . ولقد تم تعيين نفس خوليوس هذا أُستاذاً للرياضيات وذلك سنة (١٦٢٩) . ولم تكن هذه المزاوجة لتثير الدهشة في ذلك العصر كما يحدث في أيامنا هذه ، وذلك لأهمية الرياضيات العربية في القرن السابع عشر بينما كانت الرياضيات الأوروبية آخذة في التطور والنمو . ويبدو أن الدافع الأول لاهتمام خوليوس بالعربية هو استعمالها كوسيلة من أجل فهم ما كُتب بها في الرياضيات .

وهذا يقودنا إلى طرح سؤال حول البواعث الأخرى التي دفعت مستعربي القرن السابع عشر في هولندا وكذلك مدراء الجامعة الهولنديين إلى هذه الدرجة من الاهتمام بدراسة اللغة العربية . وقيل إن أحد هذه البواعث هو استعمال اللغة كوسيلة للتبشير المسيحي في العالم العربي ، ولكن بالرغم من اشارة أربينيوس في خطبته الافتتاحية التي ألقاها سنة (١٦١٣) منوّها بالحاجة الماسة إلى معرفة اللغة العربية من أجل هذا الهدف (أي التبشير) ، إلا أنه لم يقم بأي خطوة في هذا المجال ، الأمر الذي يدفعنا إلى الاستنتاج من أن هذا التنويه لم يكن أكثر من لفتة تجاه الأيديولوجية الرسمية التي كانت سائدة عندئذ . كما وأن الهولنديين لم يقوموا أبداً بالتبشير في العالم الناطق بالعربية . أما فيما يتعلق بأربينيوس فيبدو أن الهدف من نشر ترجمته العربية للعهد الجديد ليس لاستعماله في التبشير وإنما ليكون مادة قراءة ودراسة للطلاب . ولم يُبْدِ خوليوس خليفة أربينيوس أي اهتمام فعلي بالتبشير المسيحي : ولم تكن ترجمته العربية للتعاليم الشفوية للكنيسة الهولندية البروتستانتية والتي لم يتم طبعها بالعربية أبداً ــ من أجل التبشير بين المسلمين وإنما كانت مُعدّة من أجل المسيحيين العرب في العالم العربي ، بل ومن الأرجح أنها كانت نوعاً من التنافس وإثبات الوجود بين هؤلاء المسيحيين مقابل النشاط الكاثوليكي المكثف .

كما ولم يكن السبب الأول في الاهتمام الذي أبداه المستعربون الهولنديون باللغة العربية كونها لغة التجارة والدبلوماسية وذلك بالرغم من أن أربينيوس كان يقوم بترجمات رسمية للبرلمان الهولندي تماماً كخوليوس ، وكذلك بالرغم من اشارة أربينيوس في خطبته الافتتاحية المذكورة إلى أهمية اللغة العربية كلغة التجارة في منطقة البحر المتوسط . إضافة إلى أن خوليوس كان السكرتير الأول في القنصلية الهولندية في حلب كما وأنه اشترك في بعثة دبلوماسية إلى المغرب وذلك سنة (١٦٢٣ ــ ١٦٢٤) ، ومع كل هذا فلم تظهر أية اشارة في حياتهم العملية وفي أعمالهم تدل على أن هذه كانت باعثاً مهماً لدراستهم للعربية .

إن شخصيات مثل سكاليخر الذي حث أربينيوس على دراسة العربية ، وكذلك كازوبونوس الذي دعم أربينيوس ليصبح أول أستاذ كرسي الدراسات العربية منذ بداية سنة (١٦١٣) ، لم يكن اهتمامهما بالتبشير كما لم يكن بالفائدة العملية للغة العربية وإنما كان اهتمامهما الأول ذا دوافع علمية . وكل الدلائل تشير إلى هذا الأمر . فلم يرد في خطبة أربينيوس الافتتاحية سنة (١٦١٣) إلا كل حمد للحضارة العربية والأدب العربي ، للتاريخ والفلسفة . وكما اهتم خوليوس بالمؤرخين العرب كذلك اهتم بالرياضيات العربية لذاتها ولمضمونها ، وليس كما هو عليه الحال في أيامنا هذه حيث نرى في الرياضيات العربية مرحلة مهمة في تاريخ العلوم فقط . وعلينا أن نأخذ في الحسبان أن نهاية القرن السادس عشر وبداية السابع عشر قد شهدت بداية ازدهار العلوم في أوروبا فرأى العلماء في أوروبا أنه بإمكانهم التعلم من الكتابات العربية في الرياضيات وفي علم الفلك غير ناسين الطب . وحقاً ، لم يُظهر مستشرقو القرن السابع عشر فهماً عميقاً بالإسلام ولكنهم أبدوا إعجابهم بالحضارة العربية .

لقد كان حظ جامعة ليدن كبيراً بوجود مستعربَيْن بارزين ألا وهما أربينيوس وخوليوس ولقد استمرت هذه السعادة بسبب وجود فارنر الذي كان أحد طلاب خوليوس والذي عُين سنة (١٦٥٤) ممثلاً لهولندا في القسطنطينية . ولم يكن فارنر هذا دبلوماسياً فحسب وإنما عالماً أيضاً فقام بجمع العديد من المخطوطات النفيسة أثناء تواجده في القسطنطينية ثم أورثها مكتبة ليدن الجامعية . وهكذا حصلت الجامعة على العديد من المخطوطات ذات الأهمية الكبرى والتي باضافتها إلى المخطوطات التي اشتراها خوليوس لحساب الجامعة ، جعلت من مجموعة ليدن من أهم مجموعات العالم .

بعد موت خوليوس سنة (١٦٦٧) مرت سنوات عديدة قبل أن تتمكن جامعة ليدن من تعيين عالم لكرسي اللغة العربية يمكن مقارنة مستواه بمستوى كل من خوليوس وأربينيوس . وفي أثناء ذلك تم تعيين ريلاند (ريلاندوس باللاتينية) في اوتريخت وذلك سنة (١٧٠١) . وقد اشتهر ريلاند بكتابه « الديانة المحمّديّة » والذي صدر عام (١٧٠٥) . ويمكن اعتبار هذا الكتاب معلماً من معالم الاستشراق لأن ريلاند قام فيه بدحض العديد من الاتهامات ضد الإسلام والتي كانت سائدة في ذلك العصر ، منها سخف اتهام المسلمين بعبادة فينوس في مكة .

كانت هذه النزاهة العلمية أمراً نادراً في ذلك العصر ، إلا أنها كانت بداية موقف من الإسلام سوف يصبح عادياً فيما بعد ، أي في القرن الثامن عشر والذي كان بالإمكان تطويره إلى الإعجاب بالإسلام .

وأخيراً عاد إلى الدراسات العربية في ليدن بعض من بريقها القديم وذلك في القرن الثامن عشر على أثر تعيين ا. سخولتينس أستاذ كرسي اللغة العربية وذلك سنة (١٧٢٩) .

لقد كان اهتمام سخولتينس الرئيسي منصبّاً على استعمال اللغة العربية كوسيلة لشرح العهد القديم ، وكما رأينا فقد كان هذا موضوع اهتمام المستشرقين منذ البداية . وعلى الرغم من أن نظريات سخولتينس ما كانت لتصمد أمام الاختبار العسير لبحث اللغات المقارن العصري ، إلا أنها كانت في عصره مثيرة إلى حد ما . ففي خطبته الافتتاحية أصاب سخولتينس العديد من اللاهوتيين بصدمة عندما قال إنه ما كان علينا أن نعتبر اللغة العربية « ابنة » اللغة العبرية ، وانما علينا اعتبارها « كأخت توأم » لها . وبعبارة أخرى : إن لغة العهد القديم لم تكن أقدم لغة ، على كل حال لم تكن أقدم لغة سامية ، ويبدو أن في هذا الكثير من الجرأة في عصر سخولتينس ، حيث كان من الصعب على علماء القرن الثامن عشر الانعتاق من حيرة اللاهوت .

إلا أن هذا النوع من البحث لم يكن اهتمام سخولتينس الوحيد ، فمثل كثير من علماء القرن الثامن عشر ، قام بتخصيص الكثير من وقته للأدب العربي القديم وذلك يبدو من كتابه حول « مقامات الحريري » الذي كان الأكثر مقروءاً من كتب الأدب العربي القديم . أمّا الذي خصص معظم اهتمامه لهذا الأدب فكان خليفة سخولتينس ، إلا وهو هـ. ا. سخولتينس .

حقاً ، إن أسرة سخولتينس لملفتة للنظر من حيث اهتمامها بالاستشراق . وسخولتينس الأخير هذا نشط قولاً وكتابة إلى الاعتراف بجمال الشعر العربي الخاص ، الذي يدفع إلى « التخيل النشط وبالنتيجة يؤدي إلى جرأة في الابتكار وقوة في التعبير » ذلك ما جاء في خطبة ألقاها في ندوة أدبية عقدت في أمستردام سنة (١٧٧٦) . وهذا هو الاكتشاف الأوروبي للشعر العربي والشرقي بشكل عام : فها هو المستشرق الإنجليزي ويليام جونس مثلاً قد أوحى إلى الشاعر الألماني الكبير جيته « بالديوان الشرقي ــ الغربي » وهي مجموعة من قصائد « شرقية » . وربما تبع الشاعر الهولندي بيلداريك بتصريحه سنة (١٧٩٥) سخولتينس عندما قال : إنه بالرغم من كون الشعر العربي أدنى وغير تام إلا أنه لم يستطع أن يقف لا مبالياً بسبب « الحس الشديد الحرارة والتخيل » .

فعلى حد رأي بيلداريك ــ الذي كانت له معرفة باللغة العربية ، فإنه بالرغم من أن الشعر العربي « أدنى » من اليوناني إلا أن فيه « إحساساً أكثر حرارة وتخيلاً » : ونرى هنا بوضوح تأثير الفكر الرومانتيكي في شعوره نحو الغريب والطريف .

ولكن علينا ألا نُغالي في تقدير كل من هـ. ا. سخولتينس وبيلداريك للعرب لأن اتصال مستشرقي القرن الثامن عشر بالعالم العربي كان حتى أقل مما كان عليه الحال زمن أسلافهم أي في القرن السابع عشر . وعلى الأقل فإن خوليوس كان قد سافر عبر العالم العربي ، أما ما هو معروف حتى الآن عن السخولتينسيين

هو أن قدمهم لم تطأ أي بلد عربي أبداً . فبالرغم من اعجاب هـ. ا. سخولتينس بقوة مخيلة العرب وجرأتهم الابتكارية إلا أنه من المشكوك فيه أنه كان قد رأى عربياً في حياته .

إن هذا الإعجاب غير الواقعي بالرومانتيكية العربية تفسر إلى حد ما تلاشيها السريع في القرن التاسع عشر . كما وأنه من المحتمل أنه عندما تم استعمار الشرق ، فإن العقلية الاستعمارية قد أثرت في الشعور الرومانتيكي .

وبحق فإنه لم يكن لهولندا أي نفوذ مباشر في العالم العربي أبداً ، واقتصرت المحاولات الدبلوماسية الهولندية على تنشيط التجارة اللهم عدا محاولة عقد نوع من الحلف مع المغرب ضد إسبانيا . وفي هولندا أيضاً لم يدم التحمس الرومانتيكي للشرقيين إلا فترة قصيرة . أما مستشرقو القرن التاسع عشر فلقد شغلهم ما اعتبروه أكثر جدية فكان اهتمامهم بالعالم العربي من منظور علمي وليس لذاته كما كان الأمر في عصر خوليوس . ولكن اتجهت بحوثهم الآن إلى التاريخ وفقه اللغة ، ومنذ نهاية القرن بدأ الاهتمام أيضاً يتجه إلى الدين الإسلامي .

اجتمع لهولندا القرن التاسع عشر العديد من المستعربين الذين كانوا أهلاً للمكافآت ، ونذكر هنا ثلاثة منهم : دوزي ، ده خويا وسنوك هرخرونيه وكلهم شغل مناصب في جامعة ليدن . وهذا لا يعني أن الكثيرين ممن لم يرد ذكرهم سواء كانوا في ليدن أو في الجامعات الأخرى ومنها أوتريخت ، لم يكن لهم أي فضل أو دور ، فحسبنا أن نذكر هنا الأستاذ هوتسما من أوتريخت والذي كان أول محرر لدائرة المعارف الإسلامية ــ ولكن قلة هم الذين يستطيعون انكار هيمنة دوزي ، وده خويا وسنوك هرخرونيه في هذا المجال العلمي . وبحق فان سنوك هرخرونيه لم يعين أستاذ كرسي في ليدن قبل سنة (١٩٠٦) لكنه يعتبر وفي كثير من النواحي نموذجاً من القرن التاسع عشر إذ ظهرت الكثير من مؤلفاته في هذا العصر . ولقد نشط الأساتذة الثلاثة كل في حقله المختلف عن حقل الآخر ، ولكن الذي يظهر أيضاً أن الدراسات العربية في القرن التاسع عشر كانت قد تمت دون أي تخطيط علوي وبالإضافة إلى ذلك فإن دوزي نفسه لم يكن أستاذاً للعربية أو للغات الشرقية ، وإنما كلّف في سنة (١٨٥٠) بتدريس التاريخ العام فلقد كان مشغولاً بتاريخ إسبانيا المسلمة بصفة خاصة . ولا شك في أنه لم يكن لدوزي نظير في منهجيته العلمية كما وأنه من النادر أن تسير حياة عالم ما طبقاً للخطة كما سارت عليها حياة دوزي لقد الحق اطروحته عن تاريخ بني عباد (١٨٤٤) بعدة دراسات تاريخية مهمة بعضها بالتعاون مع علماء آخرين ، ثم اتبعها بكتابه الدائم التأثير : « أبحاث في تاريخ إسبانيا وآدابها خلال القرون الوسطى » (١٨٤٩ ــ ١٨٦٠) . ثم على هذا الأساس المتين ألّف أثره الخالد : « تاريخ المسلمين في إسبانيا حتى فتح المرابطين للأندلس » (١٨٦١) ، وبعد مرور أكثر من ستين سنة على الطبعة الأولى ، أي سنة (١٩٣٢) أعيدت طباعته في ثلاثة أجزاء مع بعض التصويبات والإضافات لليفي بروفنسال . إلى جانب هذا فقد اشتغل دوزي بالمعاجم العربية فقد فاز عندما كان طالباً بمباراة أجرتها الأكاديمية الهولندية للعلوم عن كتابه : قاموس الملابس العربية والذي طبع سنة (١٨٤٦) كما واشتهر بشكل خاص بنشر ملاحظاته المعجمية وذلك تحت عنوان : ملحق القواميس العربية (١٨٧٧) في مجلدين ضخمين والذي ما زال عنصراً مساعداً في العصر الحاضر . وكان دوزي من وجهة النظر هذه عالماً نموذجياً من علماء القرن التاسع عشر يعمل بنظام وبدقة معتمداً على النصوص التي كثيراً ما كان يقوم بنشرها إذا رأى ضرورة ذلك . ومن ناحية أخرى لم يكن ــ ولحُسن الحظ ــ خالياً من الشعور الرومانتيكي تجاه العرب والذي كان سائداً في أوروبا القرن الثامن عشر ، فاعتقد مثلاً أن البدو كانوا

٧ ــ « فرقة الطبلة من مكة » طباعة على الحجر (٥ر٢١ × ٨ر٢٦ سم) من الملحق التصويري عند **مكة** لسنوك هرخرونيه ، (لاهاي ، ١٨٨٨) . حزام الرجل الذي في الوسط مرصّع بخافر حمار .

أول من طبّق شعار « الحرية ، العدالة والمساواة » وذلك قبل الثورة الفرنسية بمدة طويلة . وقد ساد التسامح نظرته إلى الإسلام فرأى في فتح المرابطين للأندلس انتصاراً للهمجية على ثقافة ملك متنور مثل المعتمد ، وهذا أمر نادر في القرن التاسع عشر .

إننا لم نعد نجد ذلك الارتباط الشخصي عند ده خويا ، الذي عُين أستاذاً خاصاً للغة العربية في جامعة ليدن سنة (١٨٦٦) . كان ده خويا عالماً متفوقاً في فقه اللغة بين المستعربين الهولنديين فاشتهر بسبب نشره العديد من النصوص . أما انجازه الأكثر تأثيراً فهو سلسلة النصوص الجغرافية المتتابعة والتي قام بنشرها فيما بين (١٨٧٠ و ١٨٩٤) وذلك تحت عنوان « المكتبة الجغرافية العربية » . لقد نشط ده خويا كذلك في مجال التعاون الدولي العلمي فمكن العلماء من جميع أنحاء العالم من اخراج أعمال علمية لم يكن في وسع شخص بمفرده النهوض بأعبائها ولا حتى ده خويا نفسه بالرغم من طاقة العمل الجبارة التي كان يتمتع بها . والحق فإن دوزي قد سبقه في تدويل الاستشراق وذلك عند قيامه بطبع « نفح الطيب » للمقري بالتعاون

٨ ــ « مكيّة في كسوة عروس » . صورة (٩ر٩ × ١٣ر٨ سم) من الملحق التصويري عند **مكة** لسنوك هرخرونيه ، (لاهاي ، ١٨٨٨) .

مع الزملاء الأجانب ، لكن ده خويا بلغ من الدقة والتنظيم في التعاون العلمي الدولي درجة كان من النادر أن يبلغ أحد مستواها وذلك بنشره تاريخ الطبري في خمسة عشر جزءاً دام نشره اثنين وعشرين عاماً وذلك بين سنة (١٨٧٩) وسنة (١٩٠١) .

وعلى الأرجح فإنه كان لنجاح نشر تاريخ الطبري الدور الأكبر في اقناع العديد من المستشرقين التعهد بنشر « دائرة المعارف الإسلامية » . ولم تكن هولندا صاحبة المبادرة ومع ذلك فقد عين الهولندي ام. تي. اتش هاوتسما «مديراً للمبادرة» وذلك سنة (١٨٩٩) . وفي سنة (١٩٠٨) تم نشر الجزء الأول أما الجزء الرابع والأخير منها فقد نشر سنة (١٩٣٦) .

لا يدين نجاح هذه النشرات الدولية إلى التنظيم فحسب ــ والذي كان الهولنديون يتكيفون فيه دولياً ــ وإنما إلى وجود دار النشر ــ بريل . فمنذ سنة (١٩٤٨) انتقلت هذه الدار إلى صاحبها الجديد الذي كان قادراً على تنفيذ الخطط الطويلة الأمد بصبر وشجاعة وكذلك كان بالإمكان في هذه المطبعة القيام

بالطباعة في معظم اللغات الشرقية . وإن دلت اعادة طباعة النشرات على شيء فانما تدل على أنها لم تزل مطلوبة . وأنه والحق يُقال يجب الثناء على بريل لنشره العمل الدولي الثالث واعني به « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » وهو مرجع لكتب الحديث الواسعة الصعبة . ولقد تم وضع خطة العمل سنة (١٩١٦) وبعد مرور (٥٣ عاماً) أي سنة (١٩٦٩) صدر الجزء الأخير من هذا العمل الجبار .

أما سنوك هرخرونيه الذي خلف ده خويا سنة (١٩٠٦) فقد كان مغايراً له بنفس الدرجة التي غاير فيها ده خويا ، دوزي . لم يكن سنوك عالماً في فقه اللغة وقد عيّن أستاذاً في ليدن بعد أن نال شهرة علمية واسعة وبعد أن قطع شوطاً في خدمة الحكومة الهولندية الاستعمارية في أندونيسيا ، في منصب مستشار للشؤون الداخلية . حصل سنوك على شهادة الدكتوراة سنة (١٨٨٠) بمقال عن الحج إلى مكة حيث امضى وقتاً قصيراً فيها ، ثم الحقه بكتاب « الآجيين » الذي نشر عام (١٨٩٣) . ولعل أهم أعماله هي مجموعة بحوثه في الشريعة الإسلامية والتي أثارت اهتمام زملائه المستشرقين عندما كان ينشرها . أما خليفته فنسنك الذي توفي سنة (١٩٣٩) فقد اشتهر على وجه الخصوص بأبحاثه في التصوف والعقيدة ومنها كتابه « العقيدة الإسلامية » سنة (١٩٣٢) . ثم تبعه كرامرز الذي توفي سنة (١٩٥١) والذي كان محاضراً في اللغتين الفارسية والتركية واشتهر بأبحاثه حول الجغرافيين العرب .

لقد سار كل واحد من هؤلاء على نهجه الخاص به إلا أن الوقت لم يحن بعد لتقييمهم العلمي ، على كل حال فإن المستعربين الهولنديين في عصرنا هذا يختلفون عن سابقيهم بأن جُل اهتمامهم ينصب على العصر الحديث وعلى العرب المعاصرين . ولقد أصبح من المستحيل أن نتصور مستعرباً هولندياً معاصراً لم يقابل عربياً واحداً وجهاً لوجه كما كان عليه الحال في القرن الثامن عشر .

من الجلي أن ازدهار الدراسات العربية في هولندا منذ القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين ، يمتاز بأنه متعدد الاهتمامات مختلف الاتجاهات ، يسير دون نظام دقيق ، فمن اهتمام باللغة إلى الثقافة فالدين ، ويتوقف هذا الاهتمام على ثقافة الدارسين وثقافة عصرهم .

وعندما يستطلع المرء القرون الماضية فإنه لا يسعه إلا الاستنتاج من أن هذا الاهتمام قد أدّى إلى فهم أفضل للآخرين ، أي للعرب .

هولنـــــدا
و
العالم العربي

منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين
العلوم ـ اللغة ـ التجارة ـ الثقافة والفن

مع مقدمة لمعالي وزير الخارجية الهولندي السيد هانس فان دن بروك

بقـلم : الدكتور نيقولاوس فان دام (التحرير)
البروفيسور الدكتور يان بروخمان
الأستاذ كورنيلس خ. براور
الدكتور الكسندر هـ. ده خروت
الدكتور بن ي. سلوت
الأستاذ يان يوست فيتكام

هولنـــــدا
والعالـم العربي

منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين

العلوم ، اللغة ، التجارة ، الثقافة والفن

الدكتـــور نيقولاوس فان دام (التحرير) .
البروفيسور الدكتور يان بروخمان .
الاستـــاذ كورنيلس خ . براور .
الدكتـــور الكسندر هـ. ده خروت .
الدكتـــور بن ي. سلوت .
الاستـــاذ يان يوست فيتكام .

المحتويـــات

- المقـدمـــة

معالي وزير الخارجية السيد هانس فان دن بروك

- الدراسات العربية في هولندا

البروفيسور الدكتور يان بروخمان

- مجموعات المخطوطات والمطبوعات العربية في هولندا

الاستاذ يان يوست فيتكام

- بين الخليج والبحر الأحمر : الهولنديون على سواحل شبه الجزيرة العربية

الدكتور بن ي. سلوت

- رحلة التاجر بيتر فان دن بروكه المستخدم لدى شركة الهند الشرقية الهولندية إلى بلاط الوالي في صنعاء ، سنة ١٦١٦

الاستاذ كورنيلس خ. براور

- هولندا والعالم العربي : المغرب والمشرق

الدكتور الكسندر هـ. ده خروت

- مفردات هولندية ذات أصل عربي

الدكتور نيقولاوس فان دام

لوحة الغلاف : (منظر للجزائر وسفينة أمير البحر الهولندي ده رايتر « الحب ») ، (١٦٦٢) ، من عمل رينير نومس المدعو ب ــ زيمان (١٦٢٣ــ١٦٦٧/٨) . صورة زيتية على قماش (٦٣×١١٠ سم) . متحف الدولة في امستردام